

إريك فروم هو الفيلسوف الغربي الوحيد الذي عاش طبقاً لمبادئه ولأنكار فلسفته الإنسانية وأنا الوارث الشرعي لإدارة هذا الإرث وتأسيس مدرسة إريك فروم

حوار خاص بجريدة المنظمة،
مع الدكتور راينر فونك
Rainer funk
بمناسبة مئوية إريك فروم
Erich fromm
الفيلسوف الإنساني - الاشتراكي
الذي ناهض الأمبريالية
الرأسمالية في كل صورها

كان فروم يريد أن يكون حاخاما، لكنه اكتشف أن الدين لا يساعد في تطوير التوازن النفسي، وانتبه إلى الشكل الأبوي والسلطوي فيه

إريك فروم كان يقوم برحلات مكوكية في القطار تدوم أسبوعا وهي من أهم الفترات التي كان يؤلف فيها بجزارة

● أجرى الحوار: د. حميد لشهب

راينر فونك، المحلل النفسي والفيلسوف الألماني الدكتور هو آخر تلامذة ومساعد إريك فروم المتوفى قبل 20 سنة في سويسرا. وقد عاش فروم، المحلل النفسي والفيلسوف وعالم الاجتماع المشهور ثمانين ربيعاً، قضاه في نقد المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي، الذي يستلج للإنسان إنسانيته، يدفعه إلى الاستهلاك الأعمى، وتقوية مبدأ الامتلاك على حساب مبدأ الوجود.

ورث فروم بوصفة شرعية كل الإرث الفكري لفروم، لأن هذا الأخير لم يخلف ذرية على الرغم من أنه تزوج ثلاثة مرات. يعمل الدكتور فونك كمحلل نفسي بمدينة توبينغن، وهو رئيس الجمعية العالمية لإريك فروم، ومنسق أرشيف فروم بنفس المدينة.

1- تعتبر الشخص المسؤول عن كل الإرث الفكري الذي خلفه فروم. ليست هذه مهمة صعبة؟

د. فونك: لا شك في ذلك! إن الإرث الفكري الذي خلفه فروم لا يمكن أن يتك في قمر من قمرات تاريخ الفكر الأوروبي، لسبب بسيط هو كون فروم الفيلسوف الغربي الوحيد الذي عاش طبقاً لمبادئه ولأنكار فلسفته الإنسانية. ما لا أريده، طالما أنني الوارث الشرعي لإدارة هذا الإرث، هو تأسيس مدرسة لفروم سواء كمعهد علاجي أو كمعهد فلسفي، لأن ذلك سيقضي، في نظري، على القوة الخلاقية لأفكاره، ولأن معهد ما سيفرض أوتوماتيكاً طريقة عمل مؤسساتية مع فكر فروم، ومن المعلوم أن الفكر الحر، أي الفكر الملتزم، لا يمكن أن يبدع في ظل مؤسسة معينة. فالعمل الأكاديمي سينكب على الغرض والتحليل والتأويل للفكر الفرومي، والأهم بالنسبة لي هو أن يساعد هذا الفكر على خلق إبداع جديد من طريق إنسان آخر، وليس العكوف على المصدر الأصلي. فالسيرة الذاتية الفكرية لفروم لا يجب أن تستغل لإعادة إنتاج فكره، بل لتطوير هذا الفكر وتصحيحه وإعطائه أجنحة جديدة للتخليق.

2- لم يكن إريك فروم فيلسوفاً وسوسيولوجياً فقط بل كان محللاً نفسياً كذلك. وكما تعرفون فإن التحليل النفسي قد تعرض في السنوات الأخيرة إلى انتقادات جوهرية كثيرة، ومن بين الانتقادات العميقة له هو كونه مؤسساً على الأكايب، ماذا انتقد فروم بالدرجة الأولى عند فرويد؟

د. فونك: لعله من المفيد التذكير بالاشياء المشتركة بين فرويد وفروم قبل المرور إلى الأشياء التي تفرقهما. فروم كمحلل نفسي، كعالم، نهل الكثير من فرويد. فالأسس الأساسية للتحليل النفسي كطريقة علاجية، وتقنيات عمله، وترسانة المفاهيم التي أتى بها غير مرفوضة من طرفه، لكن ما يميز فروم عن فرويد هو الشيء الجوهرى في التحليل النفسي الفرويدي. على العكس من فرويد، الذي يشرح كل شيء بنظرية الدوافع الغريزية، وبنظرية الكبت والتحصيد وصورة الأب (أوديب) والإبن إلخ، وباللاوعي الفردي، فإن

فروم يؤكد بان اللاوعي المجتمعي والاقتصادي هو الذي يحدد سلوك الفرد. المجتمع سابق على الفرد في فهم فروم، وإذا حدث خلل في الفرد، فإنه من اللازم ربط ذلك بما يحدث في مجتمعه. وقد انتقد موقف فروم هذا، في الثلاثينات من هذا القرن، وخاصة من طرف ما يسمى بمدرسة فرانكفورت، لأن ذلك يعني شرح كل شيء بالنظرية المادية، على اعتبار أن الاقتصاد هو الذي يحكم صيرورة المجتمع. والواقع أن فروم قد لمس عمق التحليل النفسي، لأن الفرد لا يولد في معزل عن المجتمع، ولأن هذا الأخير، وبمكانيزمات كثيرة ومختلفة، يعرئ فروم عن الكثير منها، هو الذي يحدد اللاوعي الفردي نفسه، بمعنى آخر، إن مرجعية اللاوعي الفردي هي المجتمع، وليست الرغبات والدوافع، على اعتبار أن هذه الأخيرة محددة من طرف المجتمع. ويعتبر هذا هو الاكتشاف الكبير لفروم في ميدان التحليل النفسي، والذي لم يسبقه له أحد قبله على ما تعلم.

3- لقد اقترح فروم تأويلاً، إذا لم نقل تفسيراً، جيداً لليهودية. ماذا كان يضايقه في هذا الدين؟

د. فونك: كما تعلمون، فإن فروم قد نشأ في عائلة يهودية جد محافظة، وكان يريد هو نفسه أن يصبح «حاخاماً» بدراسته للتلמוד. لكن بعد اكتشافه للتحليل النفسي اكتشف في نفس الوقت أن الدين هو في العمق حجرة عثرة في طريق التطور النفسي المتوازن، وأنه لا يساهم في فتح الأفق لتطور سليم بقدر ما يجعل على توجيه الإنسان إلى إكراهات نفسية غير طبيعية. وقد انتبه إلى الشكل الأبوي السلطوي في الدين، وإلى العنف الرمزي الممارس باسم هذا المبدأ. وقد أدى به هذا إلى نقد كل دين مؤسساتي يساهم في تبعية الإنسان وليس في تحرره وتطوره النفسي.

فيمجرد ما يصبح دين ما مؤسساتياً، فإن الأولوية المهمة بالنسبة له هو الحفاظ على هذه المؤسسة أكثر من كل شيء آخر، بادعاء امتلاك الحقيقة الأخيرة، ويصبح هذا الادعاء رويداً رويداً أداة سلطة وقهر تمارسها الدين للحفاظ على مصالحه. وفي مقابل هذا الدين المؤسساتي فإن فروم يقر بحاجة الإنسان إلى الروحانيات، ووجود نوع معين من التدين القديم عند الإنسان، ليس له أية علاقة مع الديانات المؤسساتية المعروفة.

حاول فروم أن يقرأ من جديد التوراة ليقدّم تحليلاً جديداً لفكرة الله وفكرة التاريخ وفكرة الإنسان، من أجل تخليص هذه الأفكار من التأويل اللاهوتي المؤسساتي. قدم فروم إذن تأويلاً إنسانياً جديداً لليهودية كبديل ممكن.

4- يقال بان فروم كان منظماً كبيراً لوقته. كيف كان يقضي يومه؟

د. فونك: كان فروم جد دقيق فيما يتعلق بقضاء يومه. لم يكن يعمل عادة لكسب عيشه في الفترة الصباحية. ذلك أن هذه الفترة كانت محجوزة للتأمل والقراءة فقط، فقد كان قارئاً سريعاً ويقراء بكثافة. وكان يخصص بعد الظهر

لعبادته أو لمحاضراته، أما المساء فكان وقت التأليف والكتابة. من طبيعة الحال كان يخصص وقتاً كذلك للأكل وللمرور على الرسائل التي كانت تصله وللتفكير. لقد كان إنساناً يركز كثيراً على ما يعمل، ويعيش اللحظة التي يكون بصدده. عندما رحل إلى المكسيك، كان عليه أن يرجع للولايات المتحدة الأمريكية لقضاء بعض الشهور فيها، نظراً للالتزامات التي كانت تجمعها ببعض المعاهد والجامعات. كان يستقل القطار عوض الطائرة مثلاً، ويفضل أن يقضي حوالي الأسبوع لقطع المسافة، مرفوقاً بحقائب من الكتب، أي كل مكتبته. وقد كان هذا الوقت من أهم الأوقات التي كان يؤلف فيها بكثافة.

5- لقد كان فروم ناقداً وسوسيولوجياً فذاً. انتقد بشدة الحضارة المعاصرة، ماذا كان لا يحب في هذه الأخيرة؟

د. فونك: أخطر شيء نبه إليه في هذا الإطار هو كون الحضارة التقنية الحالية تساهم، بل تعمل، على تغريب الإنسان عن نفسه وعن واقعها. فإذا كان كل شيء يدور حول الربح المادي السريع، وعلى خلق عوالم ترفيهية خيالية، وعلى التشجيع لعبش هذه العوالم، فإن هذا يقود من طبيعة الحال إلى فرملة التطور النفسي والحسني والثقافي (الانثروبولوجي) للإنسان. إن هذه الحضارة تقود إلى الإنسان الآلي، المنتج، النافع، المريح، وليس إلى الإنسان العاقل، الناقد، الرافض، الذي يستعمل عضلاته الطبيعية وقدراته العقلية الطبيعية لكي يحيى حياة طبيعية. فقد عوض حب الامتلاك حب الوجود والحياة.

6- ماذا كان يعني بمفهوم «الامتلاك والوجود»؟

د. فونك: المقصود بمفهوم الامتلاك عند فروم هو طغيان الجانب المادي في حياة الإنسان، وتوقه للمزيد من الامتلاك. فقد أصبح الإنسان يقاس تبعاً لما يمتلكه وإما للمهنة التي يحترفها أو القدرة النفسية المعطاة له. وهذا من طبيعة الحال خط لإنسانيته لوجوده، ولا يعبر إلا عن ضعف في هذا الأخير. ومبدأ الوجود هو الشيء الوحيد الذي يبقى للإنسان، ولهذا يجب تقويته، للتغلب على عدم التوازن الذي آلت إليه الطبيعة بغلبة مبدأ الامتلاك على مبدأ الوجود. فروم لا يطالب أكثر من الوعي بالمحافظة على التوازن بين هذين القطبين في الحياة، من أجل بناء حياة إنسانية أكثر جمالية وبأقل تعقيدات.

7- كلمة عن فروم والعرب

د. فونك: كما تعلمون فقد ناهض فروم قيام دولة إسرائيل سنة 1967، ليس فقط لأن ذلك يتناقض وتعاليم اليهودية كدين، بل وكذلك نظراً للطريقة التي تأسست بها، بسلب أرض شعب بري، واضطهاده وطرده من أرضه. فقد انتقد بيغين والأرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين. ومن المعلوم أن فروم لم يزر أبداً إسرائيل. وقد أدى به موقفه هذا إلى كره الاسرائيليين له، بحيث نعتوه بممثل العرب ومحاميهم. وهذه العداوة الصهيونية لفروم ما تزال قائمة بعد وفاته أيضاً، ذلك أنهم لم يهتموا بما ألفه ولم يشجعوا على ترجمته ودخوله إلى إسرائيل.



FROMM-Online